



الفتحة الفصحى

١ - قبل أربعة آلاف عام :

حدث مرة (X) ، أن كان هناك رجل من أهسل وأحة الملح ، بوادي النظرون ، يدعى « خوناوب » ، وكانت زوجته تدعى « ميريه » . وقال « خوناوب » يوما لامرأته :
- آيه . أنت . ستأزلي الى مصر ، لآتي منها بضمام لاولادي هذا العام . فآذهبي وكيلي ما بقي في المخزن ، من شعير العام الماضي . فقامت « ميريه » وكانت له ستة وعشرين كيلا . وقال « خوناوب » لزوجته :

- اسمعي . خذي عشرين كيلا تغذائك ، وغذاء أضعالك . واصنعي لي من الستة الباقية خبزاً ، وجعة ، لافتات بها ، في أيام سفري . ونفذت « ميريه » ما طلبه « خوناوب » منها ، وحملت « خوناوب » حميره بالقاب وعيسدان الاونوت الجلوبة من واحدة الفرافرة ، وجلود اللبؤات ، وفرو الذئاب ، والملح ، والاخشاب ، والنظرون ، والحمام ، وطيور « الأوجيس » ، و « النساو » ، وحبوب « ألساكسوت » ، و « أنجينجت » ، و « الأفسيت » ، وشعر الارض ، ونباتات « النيشا » ، و « التينيم » ، و « الخيفير » ، و « الساهوت » ، و « الميزون » ، و « الاويسا » ، و « الانبي » ، و « الاوبين » ، و « التيب » ، و « احجار الاون » ، و « السنيت » ، و « الآبا » ، وفدرا كبيرا من خبرات وادي النظرون . ثم اتجه « خوناوب » الى مصر . سار جنوبا نحو العاصمة « نيسو » حتى بلغ ضيعة « بيريفي » شمال « ميدني » ، على عهد الاسرة العاشرة . وعند ضيعة « بيريفي » رأى « خوناوب » رجلا جائسا عند حفرة من حفر « جيهوتينخت بن ازري » ، وكان « جيهوتينخت » واحدا من أتباع « رينسي بن ميرو » . وفسد وفقا من « جيهوتينخت » ، على بعد ، بعض أتباعه . وأخذ « خوناوب » يقترب بضميره مسن « جيهوتينخت » ، ماضيا في طريقه .

- ٢ -

ورأى « جيهوتينخت » حمير الفلاح القادم من الواحة ، فأعجبه ، وسر فؤاده بمنظرها وتمنى أن يكون ته مثلها ، وود تو يملك حميسر

(X) هذه الحكاية الاولى من قصة الفلاح انفصيح ، كتبت قبل أربعة آلاف عام ، بقلم كاتب مصري قديم ، مجهول ، في الاسرة العاشرة ، وقد رأينا ضمها الى القصة الحديثة التالية ، بتصريف يسير عن ترجمة الدكتور علي حافظ لكتاب « روايات وقصص مصرية مسن العصر الفرعوني » التي ترجمها « غوستاف لوفيفر » الى الفرنسية .

هذا الفلاح بما تحمله ، فقال لنفسه :

« ليتني أملك وسيلة سحرية آتال بها حمير هذا الفلاح ، دون أي مقابل » .

وكانت دار « جيهوتينخت » تقع على حافة النهر . وكانت هذه الحافة طريقا وعرا ، ضيقا ، لا يزيد عرضه على عرض قطعة فماش . وكان ماء النهر يجر طرف الحافة من جانب ، والشعير يغطي طرفها من الجانب الآخر . وقفزت الى رأس « جيهوتينخت » فكرة ، فنادى واحدا من أتباعه القريين ، وقال له ، وعيناه على الفلاح الذي يقترب بضميره :

- أسرع ، هات قطعة فماش من البيت .

وأحس النابع بما يريد « جيهوتينخت » ، فقفز باتجاه البيت مسرعا ، وعاد بقطعة القماش ، وفردا الإبداع على الطريق ، بين الماء عند حافة النهر ، وحقل الشعير . وأقبل « خوناوب » بضميره ، سائرا على الطريق الذي يسير عليه الناس ، وحين اقترب من قطعة القماش ، قال له « جيهوتينخت » محذرا في سخرية :

- احترس أيها الفلاح . هل تريد ان تمشي فوق نيابي ؟

فقال له « خوناوب » محتجا :

- ولكنني أسير على الطريق المعتاد الذي يسير عليه الناس . ومع ذلك ، سأفعل ما تريد أيها السيد .

ومال « خوناوب » بضميره الى أعلى الحافة ، مبتعدا عن النهر ،

محاذرا أن يمس قطعة القماش ، وتكن « جيهوتينخت » صاح به :

- آريد أن تلتف شعيري أيها الفلاح ، ونمر فوفه ؟

فقال له « خوناوب » :

- انني ما زلت أسير على طريق الناس ، وفوق مصعده الخطر والوعر على حميري . وشعيرك نبت في بعض الطريق ، واعترض من يريد السير فيه . ثم أنك تسد بعية الطريق ب « ثيابك » فهل تريد أن تمنعنا من الطريق أيها السيد !

وبينما كان « خوناوب » يكلم ، فضم حمير من حميره فضمه شعير ، ورأى « جيهوتينخت » ما يحدث من الحمار ، فصاح بالفلاح :

- أنظر ، أيها الفلاح ، ما صنع حمارك بشعيري . سأخذ حمارك هذا ، عقابا له على ما فعل ، فقد أكل شعيري ، وسيدوس الحبوب في طريقه .

فقال « خوناوب » ساخرا محتجا :

- انني اتبع الطريق السوي ، فلما رأيت بعضه مسدودا بثوبك،

ملت بحماري على الجانب الذي تمنع السير فيه .

فقال « جيهوتينخت » مؤكداً فراره :

- لقد أكل حمارك شعيري ، فلا تكثر من الكلام .
فقال « خونانوب » :

- انك تأخذ حماري بفضمسة شعير . ولم أقصد سرفة هذا
الشعير . فانا أعرف مالك هذه الارض .
- تعرفه ؟

- نعم . انها أرض كبير الامناء « رينسي بن ميرو » الذي يعاقب
للصوص جميعهم . فهل أسرقه فسوق أرضه ؟ وانا أعرف من هو ؟
واعرف ماذا يفعل بالسارقين ؟

فقال « جيهوتينخت » ساخراً :

- هه . اذلك هو المثل الجاري عندكم ؟ اسمع ايها الفلاح . ان
اسم الخفير لا يذكر الا بسبب سيده . اني انا الذي اكلمك . لا ، بل
انا كبير الامناء الذي تتحدث عنه .

فصاح « خونانوب » :

- ماذا ؟ أنت رينسي بن ميرو ؟

- نعم .

- لا أكاد أصدق . انه رجل عادل ، ولا يظلم أحداً ، لا يستولي
على حمار بسبب فضمة شعير .

فقال « جيهوتينخت » معانداً ، وثائراً :

- لا تكثر من الكلام ايها الفلاح . انظر . ستلقى جزاء مجادلتي .
ومال « جيهوتينخت » ، وأخذ عوداً من شجرة حناء خضراء ،
وهمّ بضربه ، فصاح به « خونانوب » :

- أهذا هو عدلك ؟ تظلمني ، فأنكلم لادفع ظلمك لي عن نفسي ،
فترفع عصاك عليّ لتضربني ؟

عندئذ ازدادت ثورة « جيهوتينخت » ، وأخذ يضرب « خونانوب »
يعود الحناء الثقيل الاخضر ، فوق اعضائه جميعاً ، و« خونانوب » صامت ،
وحزين ، يكتم ثورته في صدره ، بسبب من كانوا حول « جيهوتينخت »
من أتباعه . ثم صاح « جيهوتينخت » باتباعه :

- خذوا سائر حمير هذا الفلاح الشقي ، فقد صارت من الآن
ضمن ممتلكاتي .

عندئذ فقط بكى الفلاح بكاء شديداً ، وهو الذي تحمل الضرب
دون أن يبكي ، فصاح به « جيهوتينخت » في غضب وسعادة :

- لا ترفع صوتك ايها الفلاح ، والا أرسلتك الى مملكة الاموات ،
في مقر اوزيريس ، سيد الكون .

فقال « خونانوب » مقهوراً :

- أنضربني ايها السيد ، وتسرفني ماني ، ثم تمنعني ان اشكو
بفمي ، ولو بان ابكي ؟

ثم اضاف « خونانوب » ضارعا الى السماء ، في ياس وسخرية :

- اللهم يا سيد الصمت أعد اليّ مالي . فان فعلت فلن أزعجك
بصياحي .

وأمر « جيهوتينخت » بطرد الفلاح من أرضه ، وحذره من العودة
اليه . ووجد « خونانوب » نفسه وحيداً في الخلاء ، ذليل الروح ،
وقد فقد حميره وبضاعته .

- ٣ -

اكتشف « خونانوب » ان ظالمه ليس هو « رينسي بن ميرو »
أمير هذه النواحي وكبير الامناء ، لكنه لم يذهب اليه شاكياً
« جيهوتينخت » عاملة على أرضه ، وأثر ان يحاول استرضاء
« جيهوتينخت » ، واسترداد حميره وبضاعته . فمكث عشرة ايام ،
يضرع اليه ، ويتوسل ، ويدعو له الآلهة جميعاً ، يهاجمه بقارص الكلام
حين يبأس منه ، ويقنعه بالناطق حين يخيل اليه انه يجد منه ذنباً

صاغيسسة ، لكن « جيهوتينخت » كان جامداً القلب ، كثير الاذى
لخونانوب ، يضربه ، ويطرده أتباعه ، ويخاف التوسط للفلاح عنده
اهل الخير . وحينئذ لم يجد « خونانوب » وسط ضيقه مقراً من
رفع شكواه ، انى سيد « جيهوتينخت » . سار وحيداً صوب الجنوب ،
متجهاً الى مدينة « نينسو » ، عاصمة مصر ، ليرفع شكواه الى كبير
الامناء « رينسي بن ميرو » .

ولقيه « خونانوب » في الضحى ، خارجاً من باب داره . وكان
« رينسي » في طريقه الى مقر عمله ، متجهاً الى سفينة كبيرة ترسو
على شاطئ النيل ، وبها الموظفون والكتبة . واقترب منه « خونانوب »
في شجاعة وأدب ، قائلاً :

مولاي ، هل تأذن لي ان ارفع الى مسامعتك قضية ؟

فقال له « رينسي » :

- أية قضية ؟

- قضيتي يا مولاي . قضية ظلم وقع عليّ . واني لاراك يا مولاي
مشغولاً . فارجو ان توجهني الى رجل من ثقاتك ، لحدثه بأمري .
انا « خونانوب » ، فلاح من واحة الملح .

وراق لرينسي مظهر خونانوب ومنطقه وفهمه ، ومدخله اليه ،
حتى انه ابتسم له في رضا عنه . والتفت رينسي الى احد رجسالة
الثقات ، وقال له :

- استمع الى هذا الرجل ، ثم اعرض عليّ شكواه .

وأحنى تابع « رينسي » رأسه طائفاً . وشكره « خونانوب » ،
داعياً له بالسعادة ، ورضاً الآلهة . وحدد له تابع « رينسي » موعداً
للقائه ، والاستماع اليه . ونفذ التابع امر كبير الامناء ، استمع الى
شكوى « خونانوب » من « جيهوتينخت » ، وتأثر بشكواه ، واستنكر
في سره ما حدث من « جيهوتينخت » ، ووجد نفسه يقف الى جانب
« خونانوب » . وحل شكواه « خونانوب » الى رينسي بنفسه ، ولم يخف عنه
رأيه في ظلم « جيهوتينخت » لرعايا « رينسي » الطيعين ، ولم يشأ « رينسي »
ان يبت في قضية « خونانوب » و« جيهوتينخت » دون مشورة ، فجمع مجلسه
من الاشراف ، وروى لهم ما حدث من « جيهوتينخت » ، فقال ته احدثهم:
- لعل ذلك الفلاح قد سلم النظرين والملح الى شخص آخر غير
« جيهوتينخت » ، وكان عليه ان يسلمه الى « جيهوتينخت » نفسه .

وقال ثان :

- لعل أحسداً آخر غير جيهوتينخت خدعه ، وادعى انسه
جيهوتينخت نفسه .

فقال رينسي :

- ماذا تقولان ؟ انه فلاح ناصح ، وواحي فطن ، واني ارى
ان مثله لا يخدع هكذا ، ببساطة ، وان جيهوتينخت قد ظلمه حقاً .

وفي اعتقادي انه يجب عليّ ان اعاقب جيهوتينخت ، وأنصف الفلاح
خونانوب منه .

فقال ثالث منكراً :

- قبل ان تستمع الى حجة جيهوتينخت يا مولاي ؟

فقال رينسي :

- نعم . فليس هذا اول ظلم يقع من جيهوتينخت على الناس ،
وبيلغني أمره .

فصاح رابع مستنكراً :

- مولاي . هل تصافب جيهوتينخت بسبب قليل من الملح
والنظرون ؟

فقال له رينسي بسخرية لم يظن اليها :

- الظلم واحد في القليل والكثير .

فقال له نفس الرجل الشريف :

- مره اذن ان يعطيه نظرون وملحاً ، بدلا مما اخذ منه ، وهذا
يكفي لانصاف ذلك الفلاح .

ولم يجب رينسي . سكت . وتحدث في أمر آخر ، ومع ذلك كان عقله مشغولاً بفصاحه خونانوب التي حدثه نابغه عنها ، وبأن الملك يعاني من الملل والسأم ، ولا يجد شيئاً ساراً يفرج به عن نفسه . وحين أنفض الجنس ، وانصرف الأسراف ، ظن من تابع نفة ، أن يأتيه إليه بسرعة بخونانوب .

— ٤ —

جاء خونانوب ، ووقف منتظراً أمر رينسي ، آملاً انصافه من جيهوينتخت ، وظل انتظاره ، ورينسي ينمفل عنه بأمور أخرى ، ويختلس إليه النظر من حين لآخر ، ثم قال له :

— أيها الفلاح خونانوب . أن فضيكت معقدة ، ونم آبتَ فيها برأي بعد . ولا أحب أن ابنتَ برأي في فضيكت قبل أن استمع إلى جيهوينتخت ، والذي هو من خيرة رجائي ، والذي يدبر أمر أرضي في ضيعة « بيريفي » .

أحسن «خونانوب» بالخطر يحدثك به . فها هو « رينسي بن ميرو » العظيم ، يوشك أن يكون هو الآخر ظالماً كماعله على أرضه . فاستجمع شجاعته ، وحكمته ، ومنطه ، وراح ينوسل إلى « رينسي » فأنلا بسمت الخطيب :

— يا تسير الامناء ، يا شريفني . انك اعظم العظماء . وانك موجه كل شيء ، ما كان ، وما تم يكن . أرجو يا مولاي أن نستمع اليّ . هز رينسي رأسه بايماءة موافقة ، جاهداً في أن يخفي وميض عينيه ، واعجابه الفامر بفصاحة خونانوب وحسن مدخله إلى نفسه . فأخذ خونانوب يقول :

— انك ان نزلت ، يا مولاي ، بحيرة العدالة ، فسقيل الرياح في فلاعك ، ولن تمزق شراعك ، ولن تسير سفينتك على مهل ، ولن يصيب صاريتها عطب ، ولن تنقطع حبالها ، ولن تفرق عند شاطئ الأرض ، ولن يجرفك التيار ، ولن تنوق وبال النهر ، ولن ترى وجهها خانفاً ، وستسعى الاسماك الفزعة إليك ، وتمد يمينك فتأخذ الطير السممان .

أوشك « رينسي » أن يقفز فرحاً ، ويعانق « خونانوب » . ها هو امام رجل أمي حكيم في مملكة مصر ، اكثر حكمة وفصاحة من كل الكهنة ، واكثر صدفاً من كل الكتاب في عهد جلالة الملك « نيكا ورع خيتي الثالث » . لكن « رينسي » آثر أن يكبت مشاعره ، ويتحكم في نفسه ، ليسمع المزيد من هذا الرجل الحكيم ، الفني بنفسه أكثر من غنى أي انسان في مملكة مصر ، وخيل إليه انه يرى نفسه على سفين آمن في بحر هائل ، يتنزّه في نهر تقمر شاطئيه سماعة الرخاء والعدل والامن ، تتفاخر حول الاسماك الملونة ، وترفرق فوقه الطيور الجميلة . وقال له « رينسي » :

— ولم تختارني وحدي ، لانزل بحيرة العدالة ؟ فقال له « خونانوب » ، وهو يعبر بيديه ، وكأنه يلقي شعراً ، أو يشد أغنية :

— لانك ، يا مولاي ، أب اليتيم ، ورجس الارمل ، وأخ للمرأة المطلقة ، والمنبوذة ، وثوب للطفل الذي حرم من حنان أمه . وغمرت « رينسي » عواطف لا عهد له بها من قبل بهذه الصورة ، عواطف حية تجسدها كلمات خونانوب ، فقال لخونانوب بذات الهدوء والرزائفة :

— وكيف ايها الفلاح ؟

فقال خونانوب بتواضع وبساطة ، وكأنه أب يوصي وتده الوحيد : — اسمح لي ان اجعل لك ذكراً في هذه الأرض يا مولاي ، ذكراً لا يساميه القاتون نفسه ، حين يجد رجلاً ينقذه ويرعاه ، أيها الراعي المنزه عن الجشع ، والكبير المنزه عن الصفائر . فقال رينسي له آمراً :

— دعنا من الاوصاف والالقب . وادخل في الموضوع .

— بدد الكذب ، وأقم حياة الصدق .

— ثم ..

— أجب داعي الداعي ، واطرح الشر أرضاً .

— هوم !

— اني أنكلم عسى ان تسمعي .

— قل .

— آقم العنبل ايها التحميد الذي ينني عنيه كل حميد .

— وماذا تريد من عدلي ؟

— عندئذ قال خونانوب ، برجاء ، وضراعة ، وأمل :

— بدد بلائي ، فقد ضفت ذرعاً بحزني ، وقد وهنت منه قوبي ،

فقد ضلت حيلتي ، وازداد حزن قلبي .

صمت « رينسي » عامداً ، وظال صمته . فكر ان الملك « نيكا ورع » سيسعد حقاً بفصاحة هذا افلاح وحكمته . وانه بحاجة في مملكته إلى رجال مثله . واعزم « رينسي » ان ينصف الرجل مسن « جيهوينتخت » . ولكنه آثر أن يؤجل هذا الانصاف ، حتى يحمل خبره إلى الملك ، فكثير من الشكاوى تأتي من أهل مصر ، ولكنه من النادر ان يحمل احد شكاهه إلى اهل الحل والربط ، كما يحملها خونانوب . ورفع رينسي رأسه قائلاً لخونانوب :

— أيها الواحي . ينبغي أن تعرف انك لتست سوى فلاح صغير في مملكة مصر ، وان جيهوينتخت واحد من أشراف المملكة . وبإفكر في أمرك ، لافضي فيه بما أرى .

صاح الفلاح :

— مولاي !

لكن « رينسي » أشار إليه أن ينصرف الآن ، قائلاً :

— لا تتبعد عن « نينسو » . فسوف أستدعيك اليّ في وقت

آخر . اما الآن فقد حان وقت نومي .

— ٥ —

كان جلالة الملك « نيكا ورع خيتي الثالث » جالساً في بهو قصره ، يستمع إلى كبير أمنائه « رينسي بن ميرو » وهو يحدثه في المشاكل الكبيرة لمملكته . وحين انتهى من حديثه ، قال له الملك :

— أنت ساعدي الايمن ، وعيني ، وأذني ، فتصرف في هذه الامور بما أشرت به .

ثم تنهد الملك ، وقال ساهماً :

— لا أعرف ما الذي اصاب اهل مصر . لقد دب الفساد فسبي اوصالها كالسوس ، ان اقاليمها ممزقة ، واعدو يناوشها من الجهات الاربع . ولم يعد احد يسمع سوى نبرات الرثاء ، طوال حكم اربع اسر ملكية ، وها هي اسرتنا الملكية تعاني نفس المصير المحزن ، والفوضى منتشرة في كل مكان . اسمع ، في كل مكان يردد الناس نبوءة « نفر وهو » . ماذا يقول يا رينسي ؟

فقال « رينسي » ، متمثلاً بعض ما علق بذهنه من هذه النبوءة : كيف أضحت هذه البلاد وامست ؟ . وما تم يكن يحدث ابداً فد حدث . سوف اريك الابن وفد أصبح عدواً . والاخ وقد أصبح خصماً . والابن يقتل اياه ، والافواه ملأى بمبارات الاستجداء ، وكل الاشياء الطيبة قد انقضت ، والأرض يعمهسا الخراب . ان الارض نضالمت ، وحكامها قد تضاعفوا . انتبه يا قلبي ، واذرف الدمع على هذه البلاد ، في كل نبضائك .

فقال الملك بأسى :

- انهارت ماعت (✕) يا رينسي . فانهار بانهبها كل شيء . بل اصبحت في نظر الناس رمزا للظلم بعد ان كانت رمزا للعدل ، وشعارا للقضاة ، كما اصبحت تعباً للملك . انني آحاول ان ارسى العدل ، لكن لا يبدو ان احدا ممن حولي ينصت . انك يا رينسي لا تستطيع ان تقيم العدل بامر ، وان تحمل الناس عليه ، لا بد يا رينسي ان يحترموه على الاقل . آه يا رينسي . لقد سمعت من كل شيء ، ودب في روحي السام والملل .
فقال « رينسي » :

- مولاي ! لقد وجدت ما يبعد حزنك وسامك . ما يؤكد لك ان مصر بخير ، وان الناس يعرفون العدل لانهم يطالبون به . ولذلك جئت اليك .

ابتسم الملك لرينسي . بدا له انه يحاول ان يسري عنه . وقال رينسي :

- مولاي . اني وجدت رجلا بليفا وفلاحا ، من اهل واحة الملح . ماذا تقول ؟ فلاح ؟ وبلبيغ ؟

- نعم يا مولاي . وقد سلبه ماله رجل من اعواني ، فجاءني يتوسل ويشكو بكلام عجيب ، انه يقول : انك ان نزلت بحيرة العدالة فستقبل الرياح في قلاعك ، ولن تهزق شعاعك ، وستسمى الاسماك الفزعة اليك ، ولن تروجها خائفا .
فقال الملك في دهشة واهتمام :

- اقال لك ذلك ؟

- نعم يا مولاي .

- وواتق انت انه لم يستعز كلماته من احد ؟

- لا يا مولاي . انه يقبس من روحه .

صمت الملك لحظة ، ثم رفع رأسه قائلا :

- اني بحاجة الى نبلاء كثيرين حولي من هذا النوع من الرجال ، بحاجة اليهم اكثر من اي شيء آخر في مملكتي ليكونوا لي اعوانا معك . اسمع يا رينسي بن ميرد ...

فقال رينسي :

- مر يا مولاي !

قال الملك مؤكدا كلماته :

- على قدر ما تحب لي من عافية ، على قدر ما تتوق لانهاسيا من خير ، ولتيسر من ازدهار ، في مواجهة « طيبى » التي تهددنا في الجنوب ، دع امر هذا الواحي البليغ يقضى على مهل ، ولا تجبه في شيء مما يقوله او يطلبه .
فقال رينسي :

- علقت امره يا مولاي على امرك ، ولم اقل ذلك له ، ولم

استجب لمشورة الاشراف المخادمة ، من حولي . لكن ، كيف تريدني ان اقصي في امره ؟

فقال الملك :

- الزم الصمت ، حتى لا يكف هذا الفلاح عن الكلام . لو قضينا في امره لاغلاق مخازن الحكمة في صدره ، التي احسب انه لا يفضها سوى شكواه ومطالبته . واكتب لنا ما يقول حتى نسمعه ، ونحاول الاهتداء به في حكمتنا ، ثم نستعين بهذا الرجل في امورنا .

ابتسم رينسي راضيا عن رأي الملك ، وحكمته . كان رأي الملك هو الذي استقر امره هو عليه منذ ايام . وقال رينسي ممتثلا امر الملك :

- امرك يا مولاي .

واضاف الملك قائلا :

(✕) المعيار الاخلاقي للفضائل التي تحكم سلوك الافراد وحركة المجتمع ، في المجتمع المصري القديم ، في عهود الامن والرخاء واستقرار الحكم .

- ولا تنس يا رينسي ان تعول عياله وامرأته في الواحة التي يعيشون بها . ان هؤلاء الواحين لا يأتون مصر ، الا حين يكون بيتهم فضاء على الارض . ولا تدعه يعلم بما تفعل لاهله ، والا جفت منابع روحه . واسهر يا رينسي على ان تؤتية قوت بومه ، في تيسر ، دون ان يعلم انه من قبلك .
فقال رينسي :

- اطمن يا مولاي . سافعل ما تشير به على خير وجه .

وعاد الملك يقول لرينسي ، محدثا نفسه ايضا :

- ما اعظم العظيم الذي يكون رجاله عظماء . كم اتوق الى ان يصبح كل موظف في مكانه ، وليس هناك من احد يقاتل ، او يطلق سهما ، وليس هناك طفل يذبح الى جانب امه ، ورجل يطعن بجوار زوجته . ولا احد يصنع الشر لاحد ، ولا احد يرتكب العنف ضد نفسه وبيته . وحتى يحدث ذلك لا بد من سيل من العنف ، لتوحيد مصر من جديد ، وتحرير اطرافها في الشرق والغرب والجنوب .

- ٦ -

وأرسل « رينسي بن ميرد » كبير الامناء رسولا الى شيخ بلدة « سخت حوت » ليقدم لميرته وعيالها ثلاثة مكابيل من القمح في كل يوم ، وكان ما لديها قد نفذ ، منذ ان طال غياب زوجها « خونانوب » عليها . وأوعز « رينسي » الى احد اصدقائه ، ليقدم لخونانوب في كل يوم عشرة أرغفة ، واربعة من الجعة . وفي كل يوم ، كان « خونانوب » يبحث عن (رينسي) ليكشف بين يديه شاكيا امره ، داعيا اياه الى العدل بين الخصوم ، ورفع الظلم عن الرعية من العاملين والولاة ، كان « خونانوب » يجد مشقة وصعوبة حتى يصل الى (رينسي) . وكان رينسي يامر بان يواجه « خونانوب » هذه المشقة والصعوبة قبل ان يصل اليه ، في داره او في مجلس الاشراف ، او في مقر عمله على ظهر السفينة ، عند شاطئ النيل . وفي كل مرة يلقي فيها « خونانوب » كبير الامناء كان ثمة رجل يكتب في اوراق البردى ، ولم يفتن « خونانوب » مرة واحدة ، الى ان ذلك الرجل يدون ما ينطق به ، كان يخيل اليه انه يقوم بانجاز حسابات لكبير الامناء ، او بنسخ له صورا من اوامره الى العمال والولاة ، وكان (رينسي) يدفع « خونانوب » الى حافة الياس حتى يظن انه لا امل هناك ، ويفتح له ابواب الامل حتى يظن انه من الممكن الا يضيع حق وراءه مطالب ، وان العدل سوف يتحقق يوما . لذلك راح « خونانوب » يتكلم ويتكلم ، ناصحا مرة ، ومحتدا مرة ، مدافعا حينما ، ومهاجما حينما آخر ، متحفظا في كلامه تارة ، ورافعا للكلفة بينه وبين الامير تارة اخرى . وفي كل يوم يقول « رينسي » كلمات لا تنسى ..

قال لرينسي في اليوم الاول :

- يا كبير الامناء . هل ابختم لشريف ان يسلب رجلا ليس له ولي ، وينهب رجلا ليس معه احد ؟
واضاف خونانوب :

- ان الذي ينبغي ان يستأصل الشرور ، انما يرتكب هو نفسه المظالم !
فقال له رينسي :

- هل تعتقد ان مالك احب الى قلبك من ان تتعرض الى الاذى ، فيأخذك خادم من رجالي لضربك ؟
فقال خونانوب محتجا :

- منذ الذي يصد الفواحش اذن ، ان استحل حامي العدالة ، ان يميل كل الميل ؟ انك كبصير ينقلب اعمى ، وسميع يصبح اصم ، وهادي الطريق يفقد السبيل !!
واضاف خونانوب :

- من الطبيعي ان يسرق المحروم ، اما عاملك ، فان لديه ما يكفي

من الخبز لبشبع ، ومن العجة ليسكر . انه غني في كل شيء . ان
شكاية الشاكي طويلة ، وتحطيسم انثر عسير . ولكن الاصلاح قد
يصلح ، اما الافساد فيمكث طويلا قبل ان يقتلعه عدل الحاكم . احذر
كبار اشراك ، فانما يفسد القضاة سلة فاكهة تهدى اليهم . ان الملك
في داخل السفينة ، وقد ترك لك قيادتها ، فانتشر الشر من حولك ،
وانك لتفوق (سخمت) سيدة الطاعون بأسا . واذا لم يكن لك من
الامر شيء ، فم تقود السفينة اذن ؟

وقيل ان بطرده اعوان « رينسي » خارجا ، قال « خونانوب »
في ضراعة :

— انت الذي تنتسمل القريب ، وتنفذ الهالك . . انقذني .
وفي اليوم الثاني فسأل « خونانوب » رينسي ، عند مدخل
مكاتبه :

— انك كصاحب السفينة الذي لا يحمل الا من يعطيه اجر الركوب .
انت عادل لا وجود لعدله . انت تعيش بين اناس بفريزة الصقر الذي
يفترس ضعاف الطير . انت كالطباخ متساعه ان يدبح الطير دون ان
يؤاخذ بما ذبح منها . انت كالراعي الذي لا يبعد انثر عن قطيعه .
وانت الذي يجب ان تسمع قد صمت اذناك ، فما لك لا تسمع ؟

أوشك « رينسي » ان يتسهم ، بل ان يشفق على « خونانوب » ،
لكنه تذكر ما اخذ نفسه به ، فأشار الى رجلين ، فتقدما منه ، وألهبا
اطرافه بالسياط . وراح خونانوب يقول في حزن ، مناجيا نفسه ،
بصوت مسموع :

— وكذلك يضل ابن ميرو مرة اخرى . قد عمى وجهه عما يرى ،
وصمت اذناه عما يسمع ، ولا يلقي بالا لشيء مما قلت .
وأمر رينسي رجاله بطرده من السفينة ، فراح الحراس يدفونه
خارجا بالسياط ، وراح خونانوب يهتف صائحا :

— انك كمدينة لا حاكم لها ، وجماعة لا رأس فيها ، وسفينة بلا
ربان ، وعصبة بدون قائد . انك حامي المدينة الذي يسرق ، والحاكم
الذي يهب . انك امير سلط على عصابات الاجرام ، فصار مثسلا
وقدوة لهذه العصابات .

وعند باب معبد « ارسافيس » كان خونانوب يقف متأملا تمثال اله
له رأس جدي ، ينتظر خروج « رينسي » من المعبد ، وحين رآه خارجا
مع الضحى ، في طريقه الى سفينة عمسله ، اندفع نحوه ، وأوشك
الحراس ان يمنوه من الاقتراب منه ، لكن « رينسي » اشار اليهم من
طرف خفي ليتركوه يتكلم ، بل ابدا من سيره ، فقال له « خونانوب » :

— كن رحيما محسنا . نقب عن الحقيقة . اسمع ! لا تكن ظالما
حتى لا تدور عليك الدوائر يوما . انك ان اهملت علاج سوء ، اصبح
هذا السوء سوءين . انت قاض ، والقاضي الذي لا يهتم بالسوء
الناس يجب ان يعاقب ، لانه مثل من يفعل الشر ، بل ان المجرم
يقتدي به . أيها الساري حذار ان تنحرف بك السفينة ، يا واهب
الحياة لا تدعنا نهلك . هذه هي المرة الرابعة التي استجبر فيها بك .
فهل اقضي في ذلك عمري ؟! اجبني .

ولم يجبه « رينسي » . وانما اسرع ماضيا في طريقه ، وسط
موكب الهيب . وعاد « خونانوب » الى لقاء رينسي ، تبعه الى النهر
الذي ذهب ليصيد فيه . رآه منفردا وحيدا ، فاقترب منه قائلا :

— ان قسوتك يا مولاي شبيهة بكل قساوات الصيادين الذين
يبتكون بالاسماك . لقد منحك الناس نقتهم ، لتقتضى فيما بينهم من
خصام ، وتعاقب الجرمين . وما اراك تفعل شيئا غير ان تناصر
اللصوص !

عندئذ اظهر رينسي القصب . وفرقع بسوطه داعيا رجاله اليه .
فابتسم خونانوب في مرارة ، واخفى وراء الاشجار ، ثم رآه للمرة
السادسة ، في شرفة بيته يسقي الازهار ، فرفع رأسه اليه قائلا :
— حزني يحملني على فراذك ، فقد بستت من عدلك ، وانهامي
لعظيم مثلك يدفعني الى الرحيل ، ولو اطلعت على ما في صدري لغفرت

ربعا . فلا تتوان يا مولاي ، وانظر في شكايتي ، لان الظلم اذا فرق
بين الحاكم والمحكوم فما من أحد يجمع بينهما . انك يا مولاي متعلم ،
انك حاذق . انك كامل ، ولم تبلغ ذلك كله بسرقة الآخرين ، وها انت
الآن تعمل ما يعمل شواذ الناس الجاهلين . انك تتظاهر بالاستقامة ،
ولكنك مثل زارع انثر ، بروي حديقته أوما ، لتصبح ارض الاكاذيب ،
وتنتب فيها أسوأ الرذائل .

وتركه « خونانوب » ومضى . وعاد اليه مرة اخرى . رآه يدخل باب
بيته ، فاستوففه وسط حراسه ، قائلا له ، والايدي تمسك به :

— يا شريفي . لا تكن عنيدا ، فليس العناد من شيم رجل مثلك .
انك مثل الاله « توت » الذي يحكم فلا يحابي ، ومثلي ، اذا فتح فمه
ليتكلم ، كممثل الفاس التي تفتح ثغرة في شاطئ النهر ليسيل منه
الماء ، فيمضي في الارض بعيدا . لقد بينت لك شقائي ، فماذا تريد
بعد ذلك ؟ انك غافل يستجيره عند بابه صابر مثلي فلا يجيبه . ما الذي
تظنه في نفسك يا كبير الامناء ؟ انك لم تنطق ساكتا ، ولم توظف نائما ،
ولم تنشط خاملا ، ولم تفتح فما مقلقا ، ولم تخلق من الجاهل عالما ،
ولا من القبي متعلما . فلم نأى بنفسك عني ؟ اسمع : سيضيعك
اهمالك ، وسيؤذيك جشع عمالك ، وسيخلق لك ظلمك اعداء كثيرين .
فلم لا تكون عدوا للشر ، وسيدا للخير ، ورجل فن يخلق كل شيء
جميل ، بل يرد الرأس المقطوع الى مكانه .

ورنا « رينسي » الى كاتبه ، وجده يدون كلمات خونانوب مستندا
اوراقه الى جدار السور ، وقال رينسي لخونانوب ، وهو يهم باجتياز
باب داره :

— هل انتهيت ؟

فقال خونانوب بحزن عميق :

— نعم . انتهيت يا مولاي . وكان جسمي مليئا بالهم ، وفلسبي
مثقلا بالالم ، ولكن الآن خففت عن نفسي اثقاليها ، وغسلت بين يديك
ثيابي الرثة ، ولن اعود اليك . وأبدا لن تجد « واحيا » مثلي .

ونفخ خونانوب عنه ايدي حراسه ، ثم ابتعد دون ان يلتفت ،
معتزما ألا يعود ، بل ان يغادر « نينسو » الى بنيه في « سختموت »
بواحة الملح . غير انه ، في اليوم التالي ، ذهب ليفرغ بين يدي
« رينسي » كل سخطه وثورته . وجده في مجلس راحة على سفينته .
يرتشف شرابا باردا في يوم قانظ . اقتنم عليه خونانوب خلوته ،
مستعدا لينال عقابه ، حنسى ولو انتهى به الى الموت ، وقال له
خونانوب :

— اسمعني . ان كبار موظفيك لصوص ، وقطاع طريق ، وبيوتهم
ماوى للعدوان ، لانهم يجدون حمايتك لهم . لم تمنحهم حمايتك ، وأنا
أعلم انك لست مثلهم ؟ لقد طفع الكيل ، وكل ما يسقط منه خسارة
على الوطن كله . اسمعني ، اني لا استجبر بك الآن . ولست خائفا
منك . ان قلبي قلب رجل صريح يتوجه اليك الآن باللوم ، ولن تجد
مثل قلبي ، حين تشاء ، في الطريق العام . وكلماتي اليك تخرج الآن
من فم الاله رح نفسه . انك تملك أرضا ، وأملاكا ، وبيوتا ، ومخازنك
عامرة بالزاد . فمن اين كان لك ذلك ؟ هل يعطيك كبار الموظفين فتأخذ ؟
وتقدم لك الهدايا فلا تردھا ؟ انك لص اذن ، واللص لا يزهق الشر
لانه يعيش به ، ولا يكافيء على الكلام البليغ لانه يخاف منه . لكن
العدالة خالدة ابدا ، ولن تجدها معك في قبرك ، ولن ترى ابشامتها
في عيون الآخرين . انك لا تبدي وجها رحيما لاحد ، ولا ترعى لسه
حقسا .

وطرق « رينسي » دائرة نحاسية بمطرقة من حديد ، فتجاوب
الصدى على صفحة المياه ، وتسارعت اليه الاقدام ، فقفز خونانوب
مبتعدا بنفسه عن غضبه . وفكر وهو يسبح بعيدا ليخفي في الغاب
ان مصيره الموت جوعا في العام التالي مع بنيه ، وانه لن يحتمل هذا
المشهد . وفكر انه لم يفرغ بعد ما في صدره ، ومن الافضل له ان

يهوت بأيدي ظالمة ، ولتشهد الآلهة على موبه ، وليتحدث الناس
بذكراه الى الابد . وفرر وهو يتوارى في الغاب ، ان يجعل لفاءه
الاخير مع « رينسي » لفاء لا ينسى .

ذهب اليه في اليوم الاخير ، وكان « رينسي » جالسا وسط اشرف
« اهناسيا » جميعهم ، في فاعة الاجتماعات الكبرى بينه . اندفع
يجري مفتحما صفي الحراس قبل ان يفيقوا اليه ، فوجد نفسه وجهها
لوجه مع الاشراف يتوسط دائرتهم « رينسي » . صاح به :

يا كبير الامناء . ان السنة الناس موازينهم . وان الميزان هو
الذي يبين السرفة . فعاقب من يستحق العقاب . لا تكن بطيئا في
نصرة الحق . لا تتحيز ، ولا تطع من حولك من الظلمة ، ولا تخف وجهك
حتى لا ترى .

صاح به « رينسي » في غضب :

اخرس .

فقال له خوناوب ناصحا :

لا تنهر من أنك مستنجيرا . أخرج من بطئك ، وافض بما انت
به قاض . ولا تلق بالآ لسان الناس ، اذا دعاك شاك لتحكم في فضيئته
العادلة . فلا صديق لمن يصم آذانه عن العدل . اني ارى انك اليوم
قائلي . وان من يشكو يصيح عدو من يقتله بظلمه . اني ضرت اليك
وما اراك نصت . ساذهب الآن عنكم جميعا . سيقطنني حراسك في
الطريق . ولكنني ساذهب حيا او ميتا ، الى معبد « انوبيس » في هذه
المدينة ، لاشكوك اليه .

ومشى « خوناوب » بثبات ، خارجا من القاعة الكبرى . وأشار
« رينسي » الى حارسين عند مدخل الباب ليعودا به . فامسكاه من
ساعديه ، ودب الخوف في قلب « خوناوب » مفكرا انها النهاية .
وابتسم « رينسي » في وجه « خوناوب » ، وأشار اليه ليشرب مما
امامه من ماء ولبن . فقال خوناوب :

ان تقرب الماء من شفاه العطاش ، ومد اللبن الى فم الرضيع ،
يعني الموت المتوقع ، الذي يأتي متاخرا . وسوف اشربه يا كبير الامناء ،
لكنك انت الذي ستموت به في النهاية .

وضحك « رينسي بن ميرو » ، ثم قال :

لا تخف ايها الفلاح ، فقد اهملناك عن قصد .

لم ؟

قال « خوناوب » غير مصدق ما يسمع . فقال له « رينسي »
بمودة :

لنبقى معنا .

ثم قال « رينسي » :

لا ترى انك كنت في كل يوم ، تاكل من خبزي ، وتشرب من
جمتي ؟

فقال خوناوب ، في دهشة :

انا ؟ كيف ؟

فقال رينسي ، مشيرا الى أحد الجالسين :

انظر . اليس هذا هو الرجل الذي كان يقدم لك الخبز والجمعة
في كل يوم ؟

فقال خوناوب :

بلى . انه هو . آه ! كنت اذن الفار الذي يلعب به القط قبل
ان ياكله .

فضحك رينسي . وبدا لخوناوب ودودا ، ومخيفا . لكن رينسي
قال له :

ليطمئن قلبك . كنا نريد ان نسمعك . ان نسمع اقصى ما
لديك من حكمة .

وأشار رينسي الى كاتبه ، فتقدم ، ووقف في وسط القاعة ،

وفك لفة ضخمة من اوراق البردي . وراح يقرأ شكايات خوناوب ،
والكل منصت من حوله ، لا يكاد يصدق ما تسمعه آذانه من حكم ونعاليم
« بتاح حتب » وأقوال « نفر رو هو » . وقال رينسي لخوناوب :

لقد قضى جلالة الملك « نبتكا ورع خيتي الثالث » ، بأن نفع
معك ما فعلناه ، لكي نسمعك ، ونكتب عنك .

فصاح خوناوب في دهشة :

انا ؟

فقال رينسي :

نعم ، انت . وسوف يسر قلب جلالة الملك بشكاواك هذه ،
اكثر من أي شيء آخر في مملكته . وقد ترك لي ان احكم في امرك ،
بما اراه ، قائلا لي : احكم بنفسك يا بن ميرو .

فقال خوناوب :

لست اريد سوى حميري ، وبضائعي ، فانني اريد العودة الى
بيتي ، قبل ان يهلك عيالي .

ضحك « رينسي » . وأشار ، فأدخلوا عليه « جيهورينخت »
مقيدا ، ومعه عود اخضر من شجرة حناء ، وقدمت العصا لخوناوب
ليضربه ، وقدمت له قائمة بكل ما يملكه ، بل قدمت اليه رقبة
« جيهورينخت » ليملكها « خوناوب » ، ومعه ستة من عبيده الاسمويين .
وانتظر الكل ما سوف يسفر عنه قرار « خوناوب » .

٢ - بعد اربعة آلاف عام :

أقعى همام بجوار باب داره . ينظر الى المارة شاردا . عند
الناحية الاخرى لباب الدار ، كان الجمال واقفا باكل ، من مذود فريد
لم يصنعه احد من قبل لجمال . كان المذود فجوة اسطوانية ، وسط
دائرة من الطين الجاف المخلوط بالطين ، وخالصة فرض السنط ،
ترتفع فوق دائرة من الطوب ، الى منتصف عنق الجمال . ولم يكن عليه
سوى ان يرجع الى الخلف خطوة ، بفوائمه الاربعة ، ويأخذ في أكل
الدريس الموضوع امامه ، او عقدة البرسيم ، اذا اسعفه الحظ .
عز على همام ان يحني جملة رأسه ، برغم انه ضامر ومصاب بالجزب ،
وتفوح منه روائح الكبريت النفاذة ، فبنى له هذا المذود ، ودق له
وتدا افقيا ، به حز عريض لحبل الجمال ، في حائط بيته .

وقف امامه في تلك اللحظة شيخ الخفراء . كان طويلا ، عريض
الكتفين ، ناعس العينين . نصفه العلوي غارق في ضوء الشمس ،
يلقي بظله وراءه على الارض . ولح همام الظل قبل ان يرى صاحبه .
قال شيخ الخفر لهمام ، وهو ينظر الى المذود والوتد :

اما انت عليك تفانين يا همام ..

ابتسم همام لشيخ الخفر ، وقال دون ان ينهض ، مشيرا بهزة
من رأسه الى الارض والجدار بجانبه :

تفضل يا شيخ الخفر ..

مفيس لزوم ، انا جيت لك بطليبة .

خيرا ..

قال شيخ الخفر :

عايزين جملك يشيل كام شوال رز للمركز ..

لمين ؟

الا لمين دي ! انت عليك راس مش على حد . انا شيخ الخفر ،
ابقى جاي من طرف مين يا همام ؟

العمدة ؟

ومن العمدة يا همام ، للمامور ، والمعاون ، ووكيل النيابة ..
لا ..

نهره شيخ الخفر قائلا :

ما تناهدينش يا همام . مش كويس علشانك .

ما دام للعمدة . والعمدة ما بيدفعش . وبياكل عرق الناس ، لا .

كلمة واحدة : لا ..

ضحك شيخ الخفر ، وقال :

- زكا يا همام عنك ، وعن جملك ، لمصلحتك !

قال همام محتجا :

- زكا لمن يا شيخ الخفر .. للعمدة ، والا للمركز ؟ انا عايش

على الرزق الطائر . الزكاة ليست مني ، وليست لي .

- يا ه . حاتفلسف يعني . طيب ، انت حر يا همام ..

ونركه شيخ الخفر عائدا الى دوار العمدة ..

ذكر همام ان القوي يعيش بقوته ، ومتوسط الحال يظل يتطلع

حواليه ليعرف كيف يعيش ، والمسكين يعيش صابرا ، يعطي اكثر مما

يأخذ ، يحمده ربه اذا حصل مع الرغيف على طبق مش ، ورأس بصله .

تلك حاله مع العمدة ، ومع شيخ الخفر . لا بل حال غيره ، من الخولي

والانفار ، هو وحده رجل بلا نظير ..

٢ -

كان همام عائدا بحمله من مشوار ، كان سعيدا لانه جنى في نصف

نهار ربع جنيه . حمل جملة حبوبيا ، وعاد بها دقيقا ، وقبض هو الثمن .

أخذ يندندن راضيا . ود لو يرفع صوته بموال حب . فكر انه فسي

النهار ، وان الناس متناثرون حوله على الطريق وفي الاراضي . تذكر

عهده الذي قطعه على نفسه ، قبل اعوام مضت . ان يحتج على كل

ظلم . ان يرفع صوته في وجه كل خوف . ان يخالف كل عرف .

جرب مرة ، ومرة ، وجنى الشهرة . اكتشف كثيرا ، وعرف اكثر .

احترمه الكل واتس اليه . فكر ، لانه في النهار ، ولان الناس متناثرون

من حوله ، ولانه بخشى ، يجب ان يفني . ففتح فمه ، وأطلق صوته

عاليا ، صادحا بموال حب . تهادت حركة الفؤوس في الارض ، تقاربت

الاقدم في الخطو . أحس بابتسامات لا ترى وراء حبات العرق .

فاخذ يتحكم في ادائه ، وبكر مقاطع خاصة من موال الحب .

عند رأس الحارة ، رأى عبد القادر جالسا بصلعته ، ووجهه

الاحمر المزود ، مقعيا على المصطببية ، في اضطجاعة مستريحة ،

مستهتره ، ولامبالية ، على نصف ظهره . ابتسم له ، وحباه . وعقد

طرف جبل الجمل في حديد النافذة ، وجلس الى جواره سعيدا به ،

وبنهاره . قال له همام :

- تعرف يا واد يا عبد القادر ..

نظر اليه عبدالقادر متسما . فقال :

- هذه البلدة ، ليس فيها أحد يملك رأسا سواي ، وسواك ،

وسوى الولد متولي الذي مات . يرحمه الله .

قال عبد القادر محتجا :

- طيب . ما تكلمنيش بالفصيح .

قال همام :

- تلك حالي ، عندما افكر جييدا ، يا ولد ، يا عبد القادر .

انت تعرف .

واضاف :

- انا افكر بطريقتي . وانت تفكر بطريقتك . لذلك فنحن رأسان

كبيران . الولد متولي كان يفكر يحكي حكاية ، بعدها حكاية ، بعدها

حكاية . وكل حكاية عبرة . ونحن الثلاثة لسوء الحظ لا نقرأ ولا نكتب .

خسارة . خسارة كبيرة . انت لا تستصمى عليك حسبة . انا لا اتحير

امام فكرة . كان ينبغي ان اكون انا العمدة ، وتكون انت الصراف ،

والولد متولي كان ينبغي ان يعيش ، ليكون مالونا وكاتب عرضحالات

وسامر البلدة .

اجابه عبد القادر ضاحكا :

- حظوظ يا همام . الخيرة فيما اختاره الله .

كان همام يحديق في وجه عبد القادر بحب ، يفكر انه خلف هذا

الراس الاصلع منذ الصغر ، بسبب فراغ اعجز المداوي ، المنتسوف
الرموش ، الاجرد اللحية ، يوجد مخ عظيم . لا ينصور فصير النظر له
وجودا . حين يرى عينيه المستديرتين الملوئتين كعيون القطط . وشعر
حاجبيه الطويل الخفيف الاحمر ، وجهته الضيقة السمك . سسأله
فجأة :

- عبد القادر . لم لا تتزوج ؟

- وانت ؟

- انا سأتزوج عندما تتزوج انت .

- وعندما تتزوج انت حاجوز انا .

- انا سأتزوج عندما أجد نظيرتي .

- نظيرة ؟ ندور لك على واحدة اسمها نظيرة .

- أقصد ...

- عارف فصدك يا همام . اللي في راسك في راسي زيه . بس

الثافية حبكت .

سأله همام فجأة :

- امبارح يا واد يا عبد القادر ...

ابتسم عبد القادر قائلا :

- يا فرج الله . سبيننا الفصيح !

استمر همام يقول :

- قضيت نص نهار في حسبة ، حانسقط فيها مؤكد ..

ابتسم عبد القادر قائلا :

- قول يا همام . اما نشوف حسبة نص النهار دي .

قال همام :

- هيه ضريبه من ست ارقام في ست ارقام .. بس قدامك دقيقة

واحدة بس .

قال عبد القادر :

- واذا كسبتها ؟

- حلاعبك سيجه ، يا ولد يا عبد القادر .

وضحكا من القلب .

- اتفقنا ؟

- اتفقنا يا همام ..

- ٣ -

سار همام بالجمل ممسكا بالحبل الممتد من رقبته . يفضل همام

دائما الا يشغل الجمل بحمله ، ما دام يستطيع السير . ويفضل ايضا

الا يجعل من الحبل كمامة لغمه . فالجمل يحب ان يكون مطلق الفم ،

ليجتز ما في بطنه من طعام ، وليرغي ويزيد كلما شاء . واكتسب همام

من جملة مشيئه المتدافعة بصدرة الى الامام ، كانها ايقاع الايسام

الرتيبة ، وحرمة الليل والنهار البطيئة ، واحس همام بحاجته الى

افراغ مثانته ، فتوقف ، وطرح طرف الحبل حول عنق الجمل ، وربت

عليه ، منبها له بعدم السير . وانعطف الى حقل الذرة الجساور .

وقبل ان يدخل التفت الى الجمل . رآه بدر عنقه نحوه ، كأنه يرقب

ما سوف يفعله . فشوح له بيده حتى لا يتحرك . واوغل في الارض

مسافة حوضين ، مفرجا الاعواد بيديه ، قاطعا بقاع الضوء المستقرة

بظله . وتخبر مكانا مناسباً ، وجلس . وراح يعاني صعوبات كل مرة

يجلس فيها هذه الجلسة ، يتضاغط ، ويعتل ، ويتخايل ، عسى ان

يستريح ويهدأ ، بعد ان يفرغ ماءه .

كان الجمل واقفا ينتظر متملما في وسط الطريق ، مال جانبا

الى حافة قناة الماء الصغيرة الراكدة . رنا الى اعواد الذرة الفضة ،

وملات رائحتها خياشيمه . تاقت كل ذرة في كيانه للخضرة . مد ساقا

والاخرى ، ثم عبر القناة ، فدفع صدره اعواد الذرة ، وأخذ يملأ فمه

بلهفة ..

وزعق خولي العمدة بفرع . رآه وهو مقبل يتفقد أرض العمدة ، وأخذ يجري نحوه لبيعه . عرف الجمل لسوره ، وعرف صاحبه . صاح بملء فمه راضيا :

— والله وقعت يا همام انت وجملك .

كان همام يقادر مكانه . سمع صوت الخولي ، فاقبل مسرعا نحو جملة . وراح ينادي عليه ليترفق بالجمل . حاول ان ينتزع منه الجمل ، وأخذ الخولي ينادي على الانفار . فاقبل عدد منهم بالفؤوس ، والتفوا حول همام والجمل . وأرغموه على العودة به الى البلدة . ساروا في الطريق الى دوار العمدة . ولم تنفع همام توسلاته اليهم . يدرك انهم يتقنون عليه حريته ، وصوته المرتفع على العمدة . قال له الخولي في شماتة :

— انت احسن من مين يعني ؟ ترفض الشغل معانا في ارض العمدة يا همام ؟ طيب . آدي انت وقعت يا همام .

وسكت الخولي لحظة ، ثم قال :

— وشيخ الخفر بجلال مقداره ، بجيالك عشان جملك الاجرب ، ما ترضاش ؟ شوف بقى اللي حايجراك يا همام !!

لم يرد عليه همام بكلمة . كان يسير فقط بينهم مسكيا بحبل جملة . لم يجزؤ احدثهم بعد على لعنه أو سبه . لم يمد احدثهم يده اليه ، حتى ليمسك به . فكر انه سيعتذر للعمدة عما فعله جملة . أخطأ جملة ، وهذا يعني انه هو الذي أخطأ ، وعليه ان يعتذر . فكر انه سيدفع للعمدة تعويضا عما اتلفه الجهل ، ويعود به الى داره ، وينتهي الامر عند هذا الحد . تذكر استعلاءه على العمدة ، ورفضه الدائم للشغل كشر ، هو او جملة . تسرب الشك الى نفسه خوفا من انتقام العمدة . قوي وظالم هو . وليس مثله ممن يعفو عندما تسنح الفرصة . ماج في صدره الغضب . نظر الى الجمل . اراد ان يسبه . لكنه اشفق على نفسه من ضحكهم . ربت بكفه على عنق الجمل بحب . فكر انه كان جائعا وتائقا الى الخضرة . شعر بسعادة خفية لانه غافله وأكل اوراقا من الذرة . رفع صوته في سره ، وراح يقني للجمل . ويسرع الخطى ، فيأخذون في الهرولة من حوله ، خائفين ان يركب الجمل على غفلة ويهاجمهم به ، ثم يفر مسرعا بعبدا عن البسالة .

— ٤ —

ساقوا الجمل برغم همام الى حظيرة الواشى بأمر العمدة . ودفعوا به الى حجرة التليفون ، وحبسوه بها . ووقف يحرسه خفر آخرس يحمل بندقيته ، كل مهمته في الدنيا ان يقف ببندقية على باب هذه الحجرة ليحرس التليفون ، ويحرس من يحبس بها ، الى ان يبت العمدة في أمره . وفكر همام ان احدا من القرية لم يدخل هذه الحجرة ، سوى عامل التليفون ، الجالس ابدا تحت نافذتها المفلقة على مصطبة بساحة العوار ، ينتظر رينا يستدعيه من المركز ، وسوى من يصدر امر العمدة بحبسه . لم يخرج احد منها وعاد الى داره . يذهب دائما الى نقطة البوليس في « سنفا » بحراسة خفيرين مسلحين . فكر انه هناك سوف يدفع تعويضا عما حدث ، اذا لم يقبل العمدة ان يدفعه هنا . فكر انهم ربما ضربوه علة ، وعليه ان يحتملها من اجل خاطر جملة .

قرب الفروب ، خرج العمدة من داره متوجها الى الدوار . وجد الحصر مفروشة ، والوسائد مبشوة ، والقلل الفخارية تلمع بالمياه ، العذبة في ظل مضيء ، وساحة الدوار قد رشت قبل ساعتين بالمياه ، ونسمة بحرية رطبة تهب على المجلس . ونهض مشايخ البلدة لاستقباله . وأشار شيخ الخفراء لبأتي بهمام ، فأسرع خفيره الحارس وجاء به . وقف امامه منتظرا ان ينهي حديثه مع مشايخ البلدة . مل الانتظار والاهمال ، والقلق الذي يمانيه على جملة . صاح قائلا :

— يا حضرة العمدة .

لكن العمدة لم يلتفت نحوه ، او يقطع حديثه . أشار فقط الى شيخ الخفراء ليسكنه . فطلب منه ان يسكت . سكت همام فتسرة ، ثم عاوده القلق . فتدفق فكره وغضبه . زحمة الاحتجاج ، وتدفتت في صدره الكلمات . لم يطق صبيرا ، فقرر ان يتكلم دون توقف . صاح مبعدا عنه يد شيخ الخفراء ، وهو يتقدم خطوة :

— يا رئيس هذه البلدة . يا حاكمها وقاضيها الذي ينبغي ان يكون عادلا ، وأدعو الله بأن يكون عادلا ، حتى على نفسه ، من اجل مساكين هذه البلدة ، ممن هم مثلي .

قال أكبر شيوخ البلدة سنا :

— ركب حسان الفصاحة يا حضرة العمدة .

قال له العمدة :

— سيبه يخرف . سكته يا شيخ الخفر .

— اسكت يا واد يا همام .

صاح همام ، وهو ينتزع يده منه .

— لا . لن اسكت ابدا . كيف لظلم ان يسكت عن حقه ؟ كيف لجائع أن ينام عن طعامه ؟ كيف لجمل ان يؤخذ جملة منه ، ويظل صامتا لا ينتزع الكمامة بيده من فمه ؟ وجهله هذا ، يا رئيس هذه البلدة ، وشيوخها ، وخفراءها ، هو حيانه لانه مصدر رزقه . وبينهما من الحب ما بين الزوج وزوجته .

انفجر الحاضرون في الضحك . لم يعد باستطاعة احد ان ينظاها بعدم الاهتمام به . قال أكبر شيوخ البلدة سنا :

— والله الليلة حاتحلى يا عمدة .

التفتوا نحوه جميعا ، واتسعت حلقة الخفراء من حوله . وشوح احدثهم بالعصا الخيزرانية الطويلة الرنة ، للذين تجمعوا عند مدخل الدوار ، ليستمعوا . وصاح همام :

— اضحكوا ما شاء لكم الله ، وحظي السبيء بخطأ جملي فسي حق أعواد من أذرتك يا عمدة . ولكنني أتوسل اليك ان تعفو وانت قادر . اعتذر عن خطأ جملي ، الذي هو خطئي ، لانني تركته لاقضي حاجتي . انه اهمال مني يا رأس الكل في هذه البلدة . ولك وحدك ان تعفو عنه ونصفح . اعطني جملي ودعني اذهب آمنا بسلام الى بيتي فانت الخصم والحكم .

فقال شيخ الخفراء :

— دخول الدوار مش زي خروجه يا همام .

قال العمدة لأكبر شيوخ البلدة سنا :

— دير الجلسة انت يا شيخ البلد .

قال شيخ البلد :

— واد يا همام . انت قضيت حاجتك فين ؟

— في الارض يا شيخ هذه البلدة .

— كلمني يا واد بالبلدي احسن لك .

— ليتني استطيع يا شيخ البلد . القلق يملأ صدري . وروحي

قد صعدت الى حلقي .

— طيب يا همام ، أمرنا لله . هيه ، وازاي قضيت حاجتك ؟

— بين أعواد الأذرة يا شيخ البلد ، ولم يرني أحد سوى الله .

— والدره بتاعت مين ؟ وفي ارض مين ؟

— في ارض العمدة يا شيخ البلد الذي حج بيت الله .

— يا ولد يا همام . ازاى ده ، في حد يقضي حاجته في ارض

العمدة ؟

— اين اذهب يا شيخ هذا البلد ، يا قاضي العادل ؟ اينما ذهبت فانت في ارض العمدة او ارض احد من المشايخ العظام . البلدة كلها ، بلدة العمدة . وحتى لو قضيت حاجتي في بيتي فانا اقصيها في ارض العمدة ، ارضكم جميعا ، التي تملكونها ، وتتحكمون فسي رقاب اهلهما .

قال شيخ البلدة :

— ولما انت عارف كده ، وناصح للدرجة دي ، ما وعيتش الكلام ده ، وعملت بيه ليه ؟ لما بيدعيك العمدة تشتغل في ارضه ، ليه بتقول لا . لما يبطلب جملك في مشوار ، ليه بتقول لا ؟
— ظننتك قاضيا لي يا شيخ البلد ، فاذا بك مدع عام ضدي ، وكيل نيابة . فلتسمع اذن يا شيخ البلد العظيم ، فانا مضطر ان اكون محاميا لنفسي ، في بلدة لا اجد فيها محاميا يدافع عني .
— شوفوا البجاجة .

— ولد الانسان حرا ، ومن حقه ان يعيش حرا . نقبل ما يشاء ، ويرفض ما يشاء .

صاح شيخ الخفراء :

— اخرس . فيه امن ، فيه قانون .

وراح همام يواصل كلامه قائلا :

— بشرط ألا يعتدي على حرية أحد . وانا لم اعتد على حرية أحد ، او اخطيء في حقه . واذا كان جملي قد اخطأ ، فهو خطئي غير المقصود او المتعمد . ومع ذلك ، فلا يعقل احد او يتصور ، ان يرفض عامل عملا ، او جمّال فرصة لكسب لقمة العيش . وذلك هو ما حدث . عملت في أرض رئيس هذه البلدة شهرا ، جعت فيه انا وجملي ، والجوع كافر ، وجئت اليه طالبا أجرى عشرة قروش عن كل يسوم ، كما هو عرف هذه البلدة ، فأعطني جنيها . كيف لمثلي ان يعمل بعدد في أرض يجوع فيها ويعيرى ؟ عدت الى جملي وعشت معه على الكفاف . جاءني قبل عام شيخ الخفراء هذا ، وطلب مني أن أحمل اكياسا من القطن الى المحطة ، استجبت له اكراما لرئيس هذه البلدة ، وذهبت بجملي دورا بعد دور ، من شروق الشمس الى غروبها . ظل جملي يشن طيلة الليل ، ولم أتم انا من الورم الذي اصاب قدي ، وعندما جئت اليه لاطلب اجري ، طردني شيخ الخفراء هذا بأمره . وهو هنا يشهد بذلك ، قائلا لي : انها زكاة مني عن نفسي وعن جملي . من الذي يزكي منا عن نفسه وعن جملة . معذرة ، اقصد عما يمتلكه ، يا شيخ البلد ، يا قاضي الذي أرجو ان يكون عادلا !!

صاح شيخ البلد في وجهه :

— يا ولد يا همام . انت ما سمعتش شيخ الجامع بيقول :

((ورفعنا بعضكم فوق بعض درجات)) .

— اي نعم .

— اذن ؟

— ساشرح لكم معنى هذه الآية ، يا شيخ البلد العظيم ، كما سافتتح به عليّ قائلها العلي القدير .
صاح العمدة في غضب هائج :

— يا شيخ الخفر . دا ولد قليل الادب . خده انت وخفيرين على النقطة ، خليفهم يشرحوا جسمه هناك . وانت يا خفير مسؤول عن الجمال . الجمال ده اكل من ارضي ظلما وعدوانا ، يبقى ملكي . انسا صادرته خلاص .

ونفض العمدة من مجلسه لفوره ، وتبعه مشايخ البلد . وامسك شيخ الخفراء بيد همام واحاط به خفيران . وقال شيخ الخفراء :

— بالالا يا فالح خللي فصاحتك توديك في داهية .

مسح همام عرقه بكفه . ود أن يبكي من قلبه . فكر انه مهمما حدث يتبني ألا يحني رأسه ، او يسكت عن حقه . فأتى له أن يبكي بين ايدي الشامتين ، وامام عيونهم . سار بينهم مهموما وغاضبا ، فراح يقول للناس من حوله :

— اينها القرية الظالمة ، ترين الظلم وتسكتين عليه . تعرفون الحق ايها الناس وتهربون من قوله . تشاركون الظلمة في ظلمهم ، بالسكوت على الظلم ، والخوف من الجور بالحق . تخشون الناس والله أحق ان تخشوه .

هزه شيخ الخفراء ، وراح يقول له أنا بعد أن :

— اسكت يا همام . قلت لك اسكت . ما بخلش بالامن . مسا تزودش مصايك . كفاية واحدة . خليك عايش يا همام .
التفت همام لشيخ الخفراء بوجه مليء حزنا وهما ، تنهد بكل ما في صدره من قوة ، وقال :

— وهل انت تعيش يا شيخ الخفر ؟ تطاطيء وتطاطيء ، كل ساعة من الليل والنهار ، متى تعيش اذن يا شيخ الخفر ؟

— ٥ —

تركوه هناك وذهبوا . شربوا شايا وسجائر ، ولم يعزم عليه احد . ما كان لشاوبش القسم ان يمن عليه بالتحية ، او حتى بنظرة ، فكيف بسيجارة او كوب شاي ساخن . بلل شفتيه الجافتين باللعباب القليل في فمه ، وشرب ماء من القلة الموضوعة اسفل المكتب . ثم جلس صامنا . دق جرس التليفون على مكتب الشاوبش ، فرفبع السماعة . وراح ينصت ويهمهم ، وهو ينظر الى همام هاذا رأسه ، في تواعد صامت . أدرك همام ان الصوت الآخر هو صوت العمدة بنفسه ، يأتي في الاسلاك عبر المزارع من بيته ، وربما كان نائما الآن ممددا في سريريه ، منخم البطن ، يشرب كوبا من الشاي يطفئ به الظم ويخفف من شدة الحر والعرق . اعاد السماعة الى مكانها . كان همام يقمي بمقابله ، مستندا ظهره الى الجدار . فاروه القلق . لكنه لا يزال ينتظر ، لا يزال على عزمه بأن يدافع عن جملة .
ناداه الشاوبش :

— فز .

نفض واقفا .

— تعال هنا .

تقدم اليه . امسك الشاوبش بالقلم . وفتح اوراقا امامه ، وسأل :

— اسمك ؟

— همام بن عياد بن البحيري .

— عمرك ؟

— ثلاثون سنة .

— عمك ؟

— جمّال .

— انت متهم بانك دخلت بجملك ارض العمدة ، وأكلته من الدرّة ، واتفقت له كذا حوض .

— غير صحيح . الجمل هو الذي دخل يا حضرة الشاوبش .

— قلت لك ما تتكلمش بالفصيح .

— لا أستطيع الآن .

— اشمعي الآن يا همام .. هيه .. قول .. اتفلسف .. يكون في عون العمدة عليك .

راح همام يحكي ما حدث . والشاوبش يكتب . في النهاية وضع الشاوبش القلم . وأخذ يحرك اصابعه قائلا :

— نعبنتي ، الله يتعبك .

— السماح كريم يا حضرة الشاوبش .

— هه .. السماح ؟ السماح مش للي زيك . آف . بالغ راديو .
ونادى الشاوبش :

— يا عباس .

جاء عسكري من غرفة مجاورة . فقال له الشاوبش :

— حطه في الاوضة الصغيرة ، لوحده .

صاح همام محتجا :

— أنا أريد حضرة الضابط .

ضحك الشاوبش قائلا :

— ما تستعجلش . ريحه يا عسكري على ما بيحي حضرة الضابط .

حين دعاه العسكري لمقابلة الضابط ، كان لا يزال واقفاً فسـي
مكانه . لم يستطع من الالم ان يجلس او يرقد على اي جنب . رافق
العسكري حتى غرفة الضابط . دخل متباطئاً ، يجر نفسه . نظر اليه
الضابط مرارا ، قبل ان يقول له :

- اجلس .
- لا .

- لم لا تجلس ؟ امرك بالجلوس .

- لا أستطيع يا حضرة الضابط . في دوار العمدة ، بيت قريتنا
الكبير ، نهب العمدة جملي . وفي بيتك يا حضرة الضابط ضربت
بأزيمة ثلاثة من عساكرك ، بحديدتها وجلدها العريض . فكيف لي ان
اجلس . ولو اردت الجلوس لما استطعت .

- ياه . اللي سمعته عنك صحيح .
- اصح من كل ما سمعت ، ما تراه عينك هاتان ، ما تسمعه

اذناك هاتان .

- وكمان بتتفلسف . دا العمدة عنده حق .

- الحق معي ، وليس مع العمدة او العسكر . هو فوي وهم في
خدمته لينالوا بعض فضله .

- تتهمني بالرشوة ؟

- اذا ظلمت عساكرك احدا دون تحقيق ، وضربته دون سبب ،
فهي مرتشية . واذا ارتشت هي ، وهم جنودك ، فانت بها متهم ،
حتى ولو كنت منها بريئا .

- هم .. وابه كمان يا سي همام ؟

- هل ابحت للقوي ان يسلب رجلا ليست له عزوة ، وللغني

ان ياخذ من الفقير وسيلة رزقه ؟ ان من ينهب عليه ان يقضي بالعدل
قد اصبح سارقا . وان من ينهب عليه ان يحمي المظلوم ويستناصل
الشور ، انما يرتكب هو نفسه الظالم .

- انضريت مرة . مش خايف اني امر بضررك تاني ؟

- اكذب اذا قلت لك انني لا اخاف ، ولكنني اقاوم خوفا حتى
لا اتركك على ظلمك ، حتى احميك من نفسك ، احمي نفسي . عاهدت
نفسى الا استسلم ابدا . عملت سنوات عند شيخ البلد ، نفرا في
ارضه . كان ينهني دائما ، فاحني رأسي ككل مزارع عنده ، ككسل
مزارع في البلدة ، واقول : حاضر . شتمته شرف لي يا سييد
الناس . وجاء يوم رفع يده فيه علي ، وصفعني على وجهي الذي شرفه
خالقه ، وجعله اكرم شيء في الانسان . ثرت عليه غاضبا فانكمش ،
واعتذر ، وربما لو واصل اهانته لي لركمت على قلبي . اكتشفت انه
ينبغي الا اسكت حيث ينبغي ان اتكلم . اكتشفت ان قوة النفس في
القلب هي مصدر كل قوة . اقوى من كل قوة ، ولا سبيل لاحد النى
التغلب على هذه القوة الا بتدميرها ، يقتل صاحبها نفسه . وقلت
لنفسى : ان الموت هو في النهاية مصير كل حي . فلم الحرص على
حياة ذليلة ؟

- هم . وعاوز ايه ؟

- جئت اطلب حقا واحدا : جملي . والان اطلب معه حقا آخر :

عقاب من ظلمني من عساكرك .

- كمان ؟؟ دا انت بتحلم ..

- لم يا سيدي الضابط ، وانت تحمل نجوما على كتفيك ؟ تقول

لنفسك : اذا انصفتني من العمدة ، تمرد عليك . واذا انصفتني من

عساكرك تخاذلوا في طاعتك .

- لا .. ذكي !

- لكناك يا حضرة الضابط ، اذا لم تنصفتني ستكون معهم على

المظلوم . يحملونك لذوبهم ، ويعتدرون عنها بانها اوامرك . انهم جميعا

يقولون : نحن عبيد الامور . من يمنع الفقير اذن من ان يصبح مجرما ،
والجائع من ان يصير سارقا ، والمظلوم من ان يمسي ظالما ؟ لا احد
يا سيدي الضابط ، لانك انت ، والعمدة ، والعسكر ، دفعتموه الى
هذا الطريق . الظلم قاتل . والجوع كافر .
- هيه .. وعاوز ايه يا سي همام .

- احميني ، واحم المساكين معي . رد اليّ حتي . لا تكن مثل
العمدة الذي يعيش بين الناس بعيون الحداة التي تاكل صفار الطير .
نظر الضابط الى همام . تأمل طويلا في هيأته وملامحه . طويل
عريض جعله الفقر جلدا على عظم . جعل تفاحة آدم بارزة في عنقه .
انطقه بالحكمة المرعبة . جعل عينيه مليئين حزنا وذعرا . لو واتتسه
الحياة ، وتغيرت الحظوظ ، لربما كان في مكانه هنا . لربما كان هو ،
في مكانه هو . نهض فجأة ، صاح به في فرج :

- انت راجل خطر . اخطر من الحرامي والقاتل .. ابعد عني .
- انت دعوتني اليك . وهو جاء بي الى هنا مع الخفر . انصفتني
من العمدة ولن تزى لي وجها . اني اتكلم لادفع عن نفسي الاذي .

دخل الشاويش على صوت الضابط ، ووقف ينتظر . جلس
الضابط الى مكتبه . وراح ينقر بطرف القلم على اسنان فكه الاسفل .
وجد نفسه شخصين في مواجهته : في قلبه جزء يريد ان ينصفه ،
وجزاء اخر يخشاه ، ويخافه . مثله خطر على الامن . ومثله ينطق
بالحق دائما . لكن ، متى كان الحق هو كل شيء في الدنيا ؟ فكر ان
مثله يمكن ان يفيد النقطة بفصاحته . يفيدنا ؟ كيف ؟ سيقول الحق
دائما . يعرف كيف يقول : لا . والويل له وللنقطة كلها . كيف اذن
يضمه لمساكره ؟ لذلك لم يستطع العمدة ان يطويه كما طوى الافسا
غيره في بلدته . فليساله اذن . ساله :

- همام . تشتغل عندي في النقطة ؟

- لا ..

- ليه ؟

- اكره ان اضرب احدا .

صح ما توقعه . قال له :

- واذا جيت لك مرتب ثابت .. اربعة جنيه كل شهر ؟

- دا حلم .. لكن ، ازاي ؟

- وانت يهملك ايه : ازاي ؟ والا فين ؟

- مهم جدا ان اعرف يا سيدي الضابط .

- حاتشتغل عند العمدة . في الدوار ، مش في الارض .

- لا يا سيدي الضابط . انه ظالم لكل الناس . لن ينفعني .

انا الذي سأنفعا . فهو ياخذ ولا يعطي . وانا سأعطي ولا آخذ .

قال الضابط مناورا :

- تخميه من ظلمه يا همام .

- لا يحميه سوى الموت . ولن اكون عنده سوى ادباتي .

صمت الضابط لحظة . احس بالياس من همام . فكر في سهراته

الصاخبة مع العمدة والامور ، والبيض والفتير الذي يبعث به اليه

كل اسبوع . قال للشاويش :

- اطلب لي العمدة على الخط .

استدار الشاويش ليخرج . ناداه :

- استنى يا شاويش . خذ معاك . حطه في الاوضة الصغيرة

لوحده .

ثم اضاف ساخرا :

- وريحه يا شاويش . على ما نبعته المركز .

وهم همام بالكلام . لكنه لم يتكلم .